القضاء والقضاة في جبل نفوسة بليبيا ووادي مزاب بالجزائر

أ.د حاج ابراهيم عبد الرحمان
قسم القانون، كلية الحقوق، جامعة غرداية . الجزائر
azbar@hotmail.fr
0673612926

الملخص:

يعتبر جبل نفوسة بليبيا ووادي مزاب بالجزائر من معاقل الاباضية قديما وحديثا، وإرساء العدل ومحاربة الظلم من أهم ركائز العقيدة الاباضية ولذلك نجدهم يهتمون بالقاضي العادل والنزيه وما يجب أن يتحلى به قبل توليه سلك القضاء، وسنتحدث عن قضاء وقضاة جبل نفوسة منذ أن كانت إحدى أقاليم الدولة الرستمية إلى غاية عهد العزابة الذين لهم دور فعال في تجسيد العدل والانصاف في قرى الجبل. ونتعرض للقضاء بالجزائر بعد سقوط الدولة الرستمية واستقرار الإباضية بوادي ميزاب، ونشوء نظام حلقة العزابة بيد العالم الشيخ أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي الليبي، وكيف ساهم القضاء العادل في انتشار الأمن والسكينة داخل المجتمع الاباضي الميزابي لأكثر من عشرة قرون. ويتجه القضاء المعاصر لفكرة العدالة التصالحية، وانتشرت آلية الوساطة التي تعتبر من بدائل حل النزاعات سواء في ميزاب عن طريق العشائر أو في قرى الجبل، ونهدف للنشر وترسيخ ذلك في المجتمعين النفوسي والميزابي.

الكلمات المفتاحية: القضاء، القضاة، نفوسة، مزاب، حل الخصومات.

أولا: المقدمة:

يعتبر جبل نفوسة بليبيا ووادي مزاب بالجزائر من معاقل الاباضية قديما وحديثا، وإرساء العدل ومحاربة الظلم من أهم ركائز العقيدة الاباضية ولذلك نجدهم يهتمون بالقاضي العادل والنزيه وما يجب أن يتحلى به قبل توليه سلك القضاء، والأكيد أن ذلك يعد من مظاهر الاستقرار والسكينة داخل المجتمعات والدول، وسنتحدث عن قضاء وقضاة جبل نفوسة منذ أن كانت إحدى أقاليم الدولة الرستمية إلى غاية عهد العزابة الذين لهم دور فعال في تجسيد العدل والانصاف في قرى الجبل، ومدينة جادو هي العاصمة التي يكون فيها شيخ القضاة حسب الشيخ علي يحي معمر. وأما القضاء في ميزاب سنتحدث عن القضاء بعد سقوط الدولة الرستمية واستقرار الإباضية بوادي ميزاب، ونشوء نظام حلقة العزابة بيد العالم الشيخ أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الفرسطائي النفوسي الليبي، وكيف ساهم القضاء العادل في استباب الأمن والسكينة داخل المجتمع الاباضي الميزابي لأكثر من عشرة قرون. وحاليا يتجه القضاء المعاصر للعدالة التصالحية، وقد انتشرت آلية الوساطة

التي تعتبر من بدائل حل النزاعات سواء في ميزاب عن طريق العشائر أو في قرى الجبل. والإشكالية: كيف كان القضاء والقضاة في نفوسة وميزاب؟

وهل يمكن الادماج بين الآليات المعاصرة والإرث الحضاري لنفوسة وميزاب في جانب القضاء؟

هل هناك تجارب في قرى الجبل وميزاب لحل الخصومات؟

تمهيد:

إن استقلالية القضاء من أهم دعائم دولة القانون التي تناشد بها الكثير من دساتير العالم وقد نصت العديد من المواثيق الدولية[1] على ضرورة أن يتم وضع أشخاص مؤهلين لكي يقوموا بتلك المهمة وكان أول من حرص على ذلك الدين الإسلامي حيث نجد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم كان القاضي والمثال والقدوة بحيث نجد فيه مميزات القاضي العادل النزيه والمحايد، ونجد العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة، أنزلت القاضي منزلة عظيمة لأنه يساهم بشكل فعال في تحقيق الحق والعدل الرباني بين الناس فالأمة التي يشعر فيها كل مواطن بالطمأنينة والأمان دليل على أن العدالة فيها مطبقة ومجسدة في أرض الواقع، وبالتالي يعيش المواطنون في محبة وإخاء بعيدا عن الكراهية وروح الانتقام وذلك مصداقا لقوله تعالى في محكم تنزيله:(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)[2].

وقد كان الرسول الله صلى الله عليه وسلم في بداية نشأة الخلافة الاسلامية بالمدينة المنورة يتولى بنفسه القضاء بين الناس ويحكم بينهم، فلم يكن للمسلمين قاض غيره، وباتساع الدولة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، قام بتكليف بعض الصحابة بكرسي القضاء؛ لكنه ما فتئ في تقديم الإرشادات والتوجيهات العملية لهم قبل أن يلتحقوا بمناصب عملهم، ومثال ذلك ما قاله للصحابي الجليل معاذ بن جبل، فقد روي عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى اليمن فقال: كيف تقضي إذا عرض لك القضاء؟ فقال: أقضي بكتاب الله. قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا في كتاب الله؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره، وقال الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله"[3].

وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده على هذا النهج، إذ كانت جلسات الخصوم والحكم يعقدها القاضي داخل المسجد كون المسجد يمثل مركز الخليفة، وأول من اتخذ للقاضي دارا خاصة هو الخليفة عثمان بن عفان

1- تنص العديد من دساتير العالم على ضرورة استقلالية القضاء وتحقيق المحاكمة العادلة، منها الدستور الجزائري والليبي.

2- سورة البقرة، الآية: 179.

3 - أخرجه بلفظه أبو داود في سننه، كتاب الأقبية، باب اجتهاد الرأي في القضاء، رقم 3592، جزء 3، ص 303.

رضي الله عنه، وتطور القضاء في عهد الأمويين والعباسيين فتحددت سلطات القاضي واختصاصاته، وتنوع القضاء.[4]

أولا: القضاء عند الإباضية

قبل التمهيد لمنهج القضاء عند الإباضية لابد أن نقوم بشرح بعض المفاهيم والتعريفات الضرورية وضبطها، مثل كلمة: "منهج" و"القضاء"، كما يجدر بنا التحدث بصفة مختصرة عن الإباضية باعتبارها مذهبا من المذاهب الإسلامية الأصيلة.

أ. تعريفات أساسية

***تعريف المنهج:**

1- **المنهج لغة:** الطريق، يقول ابن منظور في لسان العرب:" طريق نهج بين واضح، وطرق نهجة، وسبيل منهج، والمنهاج كالمنهج"[5]،وقال الله تعالى:(لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)[6].

2- **في الاصطلاح:** المنهج هو السبيل الذي يسلكه العقل في دراسة موضوع –أي علم من العلوم– للوصول إلى قضاياه الكلية، أو المنهج هو: الطريقة التي يبني بها العلم قواعده ويصل إلى حقائقه.

يرى الدكتور الفاضل محمد صالح ناصر أن المنهج الإسلامي واحد مهما اختلفت آراء علماء الأمة، لأن كلمة التوحيد وحدت خطاهم، وتشريع القرآن حدد طريقهم[7].

3- الإباضية: يرى بعض المؤرخين أن الإباضية كمذهب إسلامي كان لهم قصب السبق في تأطير قضاتهم ومنحهم الانتماء المذهبي[8]، ففي عهد الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي كان القضاة في أحكامهم يعودون إلى كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدوا، ففيما قضى به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأئمة المذهب وعلمائه بالمشرق والمغرب، فإن لم يجدوا اجتهدوا رأيهم وتركوا ما يريبهم إلى مالا يريبهم، لذلك لابد من تعريف موجز عن الاباضية.

---

4 – د/ مبارك بن عبد الله الراشدي، السلطة القضائية في تونس وعمان بين الفقه والقانون، مطابع النهضة، مسقط، 2002، ص 191.

5– ابن منظور، لسان العرب، ج2، الطبعة 3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص383.

6– الآية 48 من سورة المائدة.

7– د/ محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، الطبعة الخامسة، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 16.

8– تولى الإمام عبد الرحمن بن رستم القضاء بالقيروان (140هـ–145هـ) وهو من تلاميذ البصرة تلقى علمه عن أبي عبيدة مسلم بن أبي كريمة تلميذ التابعي المشهور جابر بن زيد الأزدي، ورجع من هناك بشهادة من أستاذه تقول له " افت بما سمعت (مني) ومالم تسمع". د/ بحاز ابراهيم، القضاء في المغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، جمعية التراث، الجزائر، 2006، ص 428.

***من هم الإباضية:**

الإباضية مذهب من المذاهب الإسلامية المعتدلة، وإمام المذهب هو أبو الشعثاء جابر بن زيد، ولد سنة 22 هـ، وتوفي سنة 96 هـ، ونسب أتباع المذهب إلى عبد الله بن إباض التميمي، أما الإباضية أنفسهم فقد كانوا يسمون أنفسهم أهل الدعوة، ولم يعرفوا بالإباضية إلا بعد موت جابر بزمان، ولم يعترفوا بهذه التسمية إلا بعد ذلك عندما انتشرت على ألسنة الجميع، فتقبلوها تسليما بالأمر الواقع عن الآخرين[9].

ثانيا . منهج القضاء عند الإباضية:

كان القضاة عند المدرسة الإباضية يعودون في أحكامهم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن لم يجدوا ففيما قضى به السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأيمة المذهب وعلمائه بالمغرب والمشرق[10]، فإن لم يجدوا اجتهدوا رأيهم وتركوا ما يريبهم إلى مالا يريبهم.

ويرى الدكتور إبراهيم بحاز أنه لما كان الاجتهاد هو الغالب الأعم في كثير من القضايا التي تعرض على القضاة تجد الكثير من الاختلافات بين القضاة والفقهاء وهذا دليل على أن المدرسة الإباضية فتحت باب الاجتهاد[11]، وأن القضاة كانوا من الراسخين في العلم، والقضاة الرستميين تركوا تراثا قضائيا مهما أصلوا به الفقه الإباضي عموما وفقه الأحكام خصوصا وكان هذا التراث خير معين للإباضية ببلاد المغرب في أحلك ظروفها بعد سقوط الدولة الرستمية وزوال إمامة الظهور والعدل[12].

أولا. الشروط التي يجب أن يتصف بها القاضي:

وضع الإمام الثاني للدولة الرستمية عبد الوهاب بن عبد الرّحمن بن رستم[13] الشروط التي يجب أن يتصف بها أي قاض وحددها في خمس خصال وهي:

1- أن يكون عالما بما مضى من الكتاب والسنة، فإنه لا يستقيم أن يكون صاحب رأي ليس له علم بالسنة والآثار والأحاديث.

9- الشيخ علي يحي معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، الطبعة الخامسة، سلطنة عمان، 2013، ص 16.

10- ابن الصغير، تحقيق د / محمد ناصر ود/ ابراهيم بحاز، أخبار الأئمة الرستميين، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

11- د/ مصطفى باجو، منهج الاجتهاد عند الاباضية، الطبعة الثانية، جمعية التراث، الجزائر، 2021، ص 87.

12- د/ ابراهيم بحاز، القضاء في المغرب الإسلامي، مرجع سابق، ص 434.

986، ص 43.

13- عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم (حكم: 171 هـ – 208هـ) ثاني الأيمة الرستميين، عالم متضلع من أكبر علماء زمانه وفي عهده الذي دام سبعا وثلاثين سنة عرف الرستميون قمة مجدهم الحضاري في الداخل والخارج.. معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، الجزء الثالث، لجنة البحث العلمي جمعية التراث، القرارة، 1999، 593.

2- كافًّا عن أربع، يعني:

أ- ألا يرتشي.

ب ـ أن يكون حليمًا على الخصم: يعني يتحلم عن الخصمين وإن تصاخبا وتشاجرا بين يديه.

ج- مستخفا باللائمة، يعني ألا تأخذه في الحق لومة لائم.

د- مشاورا لذوي الرأي والعقل والغلم[14].

أما الشيخ اطفيش قطب الأيمة رحمه الله[15] فيرى أن الشروط التي يجب أن تكون في القاضي ما يلي:"... عدل، عالم، فطن، والعدالة، والحرية والإسلام والبلوغ والعقل وعدم الفسق..."، ولا ينبغي أن يكون القاضي أعمى أو ضعيفا، ويرى الشيخ القطب بأن منزل القضاء أي – المحكمة – ينبغي أن يكون وسط البلد، ويستحسن أن يكون مستقبل القبلة متربعا أو محتبيا، ومن آداب القاضي أن يجتنب مخالطة الناس ومشيه معهم إلا لحاجة لابد منها[16].

ثانيا. صلاحيات القاضي ومهامه:

إن مهام القاضي وصلاحياته تتلخص فيما يلي:

1- الفصل في النزاعات، والحكم بين الناس بالكتاب والسنة وإقامة حدود الله بتفويض من الإمام، ورد المظالم إلى أهلها.

2- النظر في الدماء والجروح، وما يتلف من أموال المسلمين.

3- النظر في أموال اليتامى والمجانين، وتعيين الأوصياء لهم.

4- النظر في الأحباس، وتقسيم التركات، وتنفيذ الوصايا.

5- عقد نكاح النساء اللائي لا ولي لهن.

6- النهي عن المنكر بالقول والفعل، والنظر في مصالح العامة[17].

ثالثا. طرق اختيار القاضي:

14- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، جمعية التراث، الجزائر، 1991، ص 221.

15- ولد سنة 1236هـ الموافق لسنة 1820 م ببنيزقن بوادي ميزاب بالجزائر وتوفي سنة 1332هـ الموافق سنة 1914 ويعد من أكبر علماء عصره ومن أشهر كتبه شرح كتاب النيل. بكير سعيد أعوشت، رجال خالدون في ذاكرة الاسلام، المطبعة العربية، الجزائر، 1994، ص 73.

16- محمد بن يوسف اطفيش، شرح كتاب النيل وشفاء العليل، الطبعة الثانية، الجزء، دار الفتح، بيروت، 1972، ص 19.

17- عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، مرجع سابق، ص 222.

إن المصادر التاريخية تشير إلى أن الخاصة من الناس عند الإباضية كانوا يقترحون على الإمام تنصيب القاضي الذي يختارونه من بينهم، ومن أشهر القضاة الذين عرفتهم الدولة الرستمية محمد بن عبد الله ومحكم الهواري، وبينت حادثة تاريخية مكانة القاضي في ذلك العهد ووقوفه إلى جانب الحق ولو كان المتخاصم فيها ابن الإمام، ووقع ذلك في عهد القاضي أبو عبد الله محمد في زمن الإمام أبي اليقظان بتيهرت، إذ كان أحد أولاده غير محمود السيرة وصدر منه ما يوجب عليه الحد الشرعي، ولم يصل القاضي إلى إثبات الفعل عليه لعدم البيّنة بعد أن استعمل كل حيلة في الوقوف على حقيقة الأمر فقدم استعفاءه وترك منصب القضاء[18].

وقد اشتهر في عهد الإمامة عند إباضية المشرق أي في عمان الكثير من القضاة بالورع والزهد ونشر العدل بين المسلمين ومن أولئك نذكر القاضي الشيخ موسى بن علي، وكنيته أبوعلي، ويصفه الشيخ أبو اسحاق إبراهيم اطفيش الجزائري بأنه: " شيخ المسلمين يومئذ، إمام العلم، وعلم من أعلام المجتهدين" ومما روي في سيرته العطرة أنه لما أصابه المرض بنزوى في عمان أتى إليه بعض المشايخ ببعض الأطعمة فردها ولم يقبلها وذلك ابتعادا عن التهمة والميل والشبهة، وحسب الدكتور مبارك بن عبد الله الراشدي فإنه كثيرا ما كان يسأل المسلمين عامة وأصحاب الرأي والتدبير خاصة عن المؤهلين للقضاء، فيأتي بهم لمحادثتهم وتوليتهم، وحسبه أن الكتب الفقهية والتاريخية مليئة بمثل هذه الوقائع رغم أن الشريعة الإسلامية تمسكت بأن يكون تعيين القاضي وترشيحه من قبل الخليفة، ومع ذلك فإن الفقهاء أجازوا أن يتم تعيين القاضي باختيار من قبل الشعب[19].

ثالثا القضاء في جبل نفوسة:

أ المجتمع النفوسي:

يتكون المجتمع النفوسي من عدة قبائل بربرية ونفوسة تمثل الأغلبية ولذلك سمي الجبل نسبة إليها،واغلب القبائل اعتنقت المذهب الاباضي[20].

ب . القضاء النفوسي في عهد الرستميين:

حسب الدكتور بحاز ابراهيم فإن الدور الكبير الذي لعبه القضاء من عدل ونزاهة ساهم في انتشار المذهب الاباضي في عهد الدولة الرستمية في العديد من المناطق والأقاليم مثل جبل نفوسة بليبيا.

18- سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق كروم أحمد، الطبعة الثالثة، 2002، الجزائر، ص 325.

19- د. مبارك بن عبد الله بن حامد الراشدي، السلطة القضائية، مرجع سابق، ص 93.

20- د مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2010، ص 425.

وقد قام الامام عبد الوهاب بن عبد الرحمان بن رستم بتنصيب والي جبل نفوسة أبوعبيدة عبد الحميد الجناوني وقد كان قاضيا اي جمع بين المنصبين وكان نموذج للقاضي العادل النزيه، ومن أشهر القضاة الذين علاقتهم نفوسة:

أ 1. عمروس بن فتح:

تولى القضاء في جبل نفوسة عندما كان إلياس بن أبي منصور واليا على الجبل الذي نصبه الإمام الرستمي أبي اليقضان بن أفلح، ومن أهم صفاته أنه كان صارما في الحق وقويا في حجته، ومن نماذج قضائه العادل " أنه استمسك رجل برجل عنده فاستردد عمروس المدعى عليه الجواب فسكت...فوطئه عمروس برجليه وعليهما خفافه، وأبو منصور إلياس حاضر، فقال أبو منصور:" عجلت على الرجل ياعمروس "، فضم عمروس أصابع يده وقال له:" كم هذا يا أبا منصور؟" فقال أبو منصور: خمسة، فقال له عمروس: لم أعجل كما لم تعجل أنت حين لم تأخذها واحدة، فواحدا حتى تأتي على آخرها..." [21].

ب 2 . أبو مرداس مهاصر السدراتي:

كان القاضي أبو مرداس مهاصر السدراتي إذا نزلت عنده مسألة من مسائل الدماء كتب بها إلى عبد الخالق الفزاني، ويعمل بما يجيبه به هذا العالم، ومن نماذج قتل الخطأ " أن رجلا رمى طائر بحجر على غصن زيتونة، فتأطير بعض الحجر وأصاب رجلا أرداه قتيلا، فتخاصم أهل القتيل مع أهل القاتل عند القاضي أبي معروف ويدرن بن جواد بويغو إحدى قرى جبل نفوسة فكان هؤلاء يقولون " إن صاحبنا لم يتعمد " وأولئك يقولون " ادفع إلينا. قاتل ولينا فإنه قتل مظلوما. ثم حكم بالدية. بينهم...وتفرقوا على أيسر حال ".

والقاضي في جبل نفوسة كان يتولى قضايا الأسرة من عقد زواج وطلاق ومسائل الميراث وتنفيذ الوصايا، ومن أمثلة ذلك ما ذكره البغطوري أن رجلا حضرته الوفاة على طريق سجلماسة فأوصى لمن حضره بأن خليفته هو القاضي أبو مهاصر[22].

ثالثا . القضاء في نفوسة بعد سقوط الدولة الرستمية:

بعد سقوط الدولة الرستمية بتيهرت وكان من أهم اسباب ذلك معركة مانو' إذ لجأ شيوخ المذهب إلى نظام العزابة ويعود الفضل في تأسيسه إلى العلامة النفوسي أبي عبدالله محمد بن أبي بكرا لفرسطائي النفوسي.[23]

21- أبو زكرياء، السيرة، مرجع سابق، ص 146..

22- د بحاز، القضاء في المغرب الاسلامي، مرجع سابق، ص 181.

23 صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب، الحلقة الثانية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر2006، ص 88.

وقد تحدث الشيخ على يحي معمر على انتشار العزابة في كل قرى ومدن الجبل وكان كل مجلس عزابة يرأس شيخ، ومن جملة هؤلاء الشيوخ تكون المجلس الأعلى للعزابة الذي يرأسه شيخ الجبل في جادو.

والقضاء في تنظيم العزابة يقوم به شيخ العزابة مع تطبيق الصارم لنظام البراءة والخطة والهجران

ومن أمثلة أن العزابة قاموا بحبس رجل تماطل في تسديد ديونه ولم يطلق سراحه إلا بعد أن سدد دينه وهو ما يطلق عليه حاليا الإكراه البدني، وكان العزابة يستعملون أسلوب التوبيخ ضد بعض المواطنين وهو من آليات الردع المعاصرة وعند صدور أعمال قبيحة منهم، ولم يقتصر ذلك فقط على الرجال، بل حتى النساء مثل " زيديت بنت عبدالله الملوشائية " وقد اشتهرت بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكانت تذكر النساء دوما بأمر الميعاد والحساب والقبر والموت[24].

رابعا . القضاء في ميزاب بعد نشوء حلقة العزابة:

كان القضاء في قرى وادي ميزاب تحت سلطة حلقة العزابة، إذ نجد على رأس كل قرية من قرى وادي ميزاب وفي مساجدها مثل تاجنينت أو بني يزقن شيخ حلقة العزابة وغالبا هو القاضي الذي يفصل في كل الخصومات والمنازعات والمسجد هو المكان الذي تنعقد فيه الجلسات، وسنتعرض للعزابة ثم آليات التقاضي.

1. نظام العزابة: أول من نشأ هذا النظام هو أبو عبد الله محمد بن بكر الفرسطائي النفوسي من قرية فرسطاء بجبل نفوسة، بمنطقة وادي ريغ بالجنوب الجزائري سنة 409هـ/ 1018م، ويشترط للانضمام للحلقة أن يكون العضو: متأدبا كيسا . مستمرا في طلب العلم . حافظا لكتاب الله . مستعدا للتضحية في سبيل وخدمة المسلمين..، يتكون من اثني عشرة عضوا ومن مهامهم ما يلي:

شيخ الحلقة، المؤذن، وكيل المسجد، وقاضي البلد[25].

2. آليات التقاضي: كان المتخاصم يلجأ للمسجد ويقوم عضو حلقة العزابة المكلف بالقضاء باستدعاء المشكو منه ومكان انعقاد الجلسات هو صحن المسجد . ساحة في المسجد ليس فيها سقف . وغالبا تكون بين صلاتي الظهر والعصر، والاجراءات تتسم بالبساطة ولا يأخذ القاضي أي أجرة، بل هو عمل تطوعي.

24 مسعود مزهودي، جبل نفوسة، مرجع سابق، ص 442.

1 معجم مصطلحات الإباضية، مادة " عزب"، ج2، ص 652.

والمصدر الذي يرجع إليه القاضي هو القرآن والسنة وكتب المذهب الاباضي ومن أهمها كتاب الإيضاح[26]، والديوان وشرح النيل[27].

أ. القضاء بعد إلحاق ميزاب بفرنسا:

قام المستعمر الفرنسي بإلحاق ميزاب سنة 1882 بفرنسا وانتزع سلطة القضاء من العزابة[28]، وأصدر في 7 نوفمبر 1882 أمر يقضي بإحداث سبع محاكم شرعية اباضية، موزعة على قرى وادي ميزاب، تتشكل من قاض وعدلين، وعلى رأسها مجلس للاستئناف[29] بغرداية، بحيث هذه الأخير يتم الطعن امامه في أحكام المحاكم الشرعية الاباضية، وينعقد جلساته بمسجد عمي سعيد[30].

ب . العشيرة ودورها في حل الخصومات بميزاب:

يتكون المجتمع الاباضي بميزاب في كل بلدة من عدد من القبائل أو ما يطلق عليه العشيرة ولها حاليا دور فعال في ضبط الاجتماعي وهناك آليات للتنسيق مع المرافق الدولة مثل البلدية.

أولا . تعريف العشيرة: عبارة عن مجموعة من الأسر تربط بينها اواصر القرابة وعلاقة الرحم، أو هي في الأصل تتألف من مجموعة أفراد ينتمون إلى جد أعلى منهم، وتسمى مجموعة العائلات التي تتحدر في الغالب من جد واحد في الشريعة الاسلامية " العاقلة ".

ثانيا . مهامها: للعشيرة دور فعال في المجتمع الميزابي، ولذلك لا يشعر المواطن بالأمن في البلدة إلا إذا انتمى إلى عشيرة ما، وهذا يشبه أخذ الجنسية في أي دولة للأجنبي، وللعشيرة مهام عدة منها:

- . الاشراف على الأعراس والمآتم، وتنظيمها حسب قوانين " مجلس العزابة ".
- . رعاية الأيتام، والفقراء، والأرامل، وكفالتهم.
- . صرف الزكاة على فقراء العشيرة.

26 – كتاب الايضاح للشيخ عامر بن علي الشماخي من علماء جبل نفوسة . ت 792هـ/1279م ، يعد موسوعة فقهية اباضية

27– شرح كتاب النيل وشفاء العليل ومؤلفه العلامة محمد بن يوسف اطفيش، موسوعة فقهية جامعة لآراء المذاهب.

28– يوسف بابا واسماعيل، القضاء في مجلس عمي سعيد، دكتوراه، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر، 2018.

29– الاستئناف هو وسيلة عملية للتقاضي على درجتين، ويلجأ إليه المتضرر من حكم الذي صدر من المحكمة، وهذا خلافا للأصول القضاء الشرعي في ميزاب قبل الاحتلال إذ كان شيخ العزابة يصدر أحكامه . فيما ينظر من خصومات . بصفة نهائية غير قابلة للطعن.

يوسف بابا واسماعيل، مرجع سابق، ص 51.

30– عمي سعيد بن علي الجربي من جربة بتونس . ولد 1438 م توفي 1521 م . بعد نشر الجهل والفتن في ميزاب قام وفد من الميزابين باستقدامه وقام بعدة إصلاحات في نظام العزابة والتعليم.

- . دورها في حل الخصومات: للعشيرة دور في اصلاح ذات البين ونجد هناك لجان منها:

1. لجنة تصفية التركات: وتقوم بمرافقة التركات عن طريق خبراء مختصين وذلك بإعطاء كل شخص منابه وفي حالة وقوع نزاع يتم تصفيته بطريق ودي.

2 . لجنة اصلاح ذات البين: وتقوم بحل الخصومات بكل أنواعها ومن أهمها المشاكل الأسرية كالطلاق وغالبا تعقد جلسات إما داخل العشيرة الواحدة إذا كان الزوجين ينتميان لنفس العشيرة أو ما بين العشيرتين إذا كان الزوجين مختلفين،

وغالبا ما يتم اللجوء للطلاق بالتراضي مع إعطاء الحقوق للطرف المظلوم حتى يتم تجنب الإجراءات المعقدة أمام المحاكم.

الخاتمة:

يقول الشيخ صالح اسماوي عندما ظهرت النهضة العلمية والثقافية في جبل نفوسة في القرنين 14و15 ميلادي وبروز علماء فطاحل مثل الشيخ الدرجيني والشيخ الشماخي عن طريق الكتب التي ألفوها، وقد ساهت في تبادل الزيارات وتسريب الكتب في إحياء العلم بوادي ميزاب وتطوير نظمه الاجتماعية وفي العصر الحديث نجد لمؤلفات وزيارات الشيخ سليمان الباروني لميزاب تأثير كبير في الحياة الاجتماعية، ولذلك نجد أن جذور التواصل كان منذ القديم ولايزال ومن خلال حديثنا عن القضاء والقضاة في جبل نفوسة وميزاب نهدف من خلال ذلك للاستفادة حاليا من الارث الحضاري والعقائدي لكي يتم تنظيم وضبط المجتمع سواء في نفوسة أو ميزاب في مجال حل الخصومات والنزاعات.

قائمة المراجع:

1.ابن الصغير، تحقيق د / محمد ناصر ود/ ابراهيم بحاز، أخبار الأئمة الرستميين، دار الغرب الاسلامي، بيروت.

2.بحاز ابراهيم، القضاء في المغرب الإسلامي، الطبعة الثانية، الجزء الثاني، جمعية التراث، الجزائر، 2006

3.بكير سعيد أعوشت، رجال خالدون في ذاكرة الاسلام، المطبعة العربية، الجزائر، 1994.

4.سليمان بن عبد الله الباروني باشا، الأزهار الرياضية في أئمة وملوك الإباضية، تحقيق كروم أحمد، الطبعة الثالثة، 2002، الجزائر.

5.صالح بن عمر اسماوي، العزابة ودورهم في المجتمع الاباضي بميزاب، الحلقة الثانية، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر 2006.

6.عدون جهلان، الفكر السياسي عند الإباضية، جمعية التراث، الجزائر، 1991.

7.علي يحي معمر، الإباضية مذهب إسلامي معتدل، الطبعة الخامسة، سلطنة عمان، 2013.
8.مبارك بن عبد الله الراشدي، السلطة القضائية في تونس وعمان بين الفقه والقانون، مطابع النهضة، مسقط، 2002، ابن منظور، لسان العرب، ج2، الطبعة 3، دار صادر، بيروت، 1414هـ.
9.محمد بن يوسف اطفيش، شرح كتاب النيل وشفاء العليل، الطبعة الثانية، الجزء، دار الفتح، بيروت، 1972.
10.محمد صالح ناصر، منهج الدعوة عند الإباضية، الطبعة الخامسة، دار ناصر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013. مسعود مزهودي، جبل نفوسة في العصر الإسلامي الوسيط، مكتبة الضامري، سلطنة عمان، 2010.
11.مصطفى باجو، منهج الاجتهاد عند الاباضية، الطبعة الثانية، جمعية التراث، الجزائر، 2021.
12.معجم أعلام الإباضية، قسم المغرب، الجزء الثالث، لجنة البحث العلمي جمعية التراث، القرارة، 1999.
13.يوسف بابا واسماعيل، القضاء في مجلس عمي سعيد، دكتوراه، كلية العلوم الاسلامية، جامعة الجزائر، 2018.